واللام في قوله (ليسأل الصادقين عن صدقهم) لام كي أي أخذنا منهم ميثاقا غليظا لنعظم جزاء للذين يوفون بعهد ا ولا ينقضون الميثاق ولنشدد العذاب جزاء للذين يكفرون بما جاءتهم به رسل ا فيكون من دواعي ذكر هذا الميثاق هنا أنه توطئة لذكر جزاء الصادقين وعذاب الكافرين زيادة على ما ذكرنا من دواعي ذلك آنفا .

وهذه علة من علل أخذ الميثاق من النبيين وهي آخر العلل حصولا فأشعر ذكرها بأن لهذا الميثاق عللا تحصل قبل أن يسأل الصادقون عن صدقهم وهي ما في الأعمال المأخوذ ميثاقهم عليها من جلب المصالح ودرء المفاسد وذلك هو ما يسأل العاملون عن عمله من خير وشر .

وضمير (يسأل) عائد إلى ا تعالى على طريقة الالتفات من التكلم إلى الغيبة .

والمراد بالصادقين أمم الأنبياء الذين بلغهم ما أخذ على أنبيائهم من الميثاق ويقابلهم الكافرون الذين كذبوا أنبياءهم أو الذين صدقوهم ثم نقضوا الميثاق من بعد فيشملهم اسم الكافرين .

والسؤال : كناية عن المؤاخذة لأنها من ثواب جواب السؤال أعني إسداد الثواب للصادقين وعذاب الكافرين وهذا نظير قوله تعالى (لا يسأل عما يفعل) أي لا يتعقب أحد فعله ولا يؤاخذه على ما لا يلائمه وقول كعب بن زهير : .

" وقيل : إنك منسوب ومسؤول . وجملة (وأعد للكافرين) عطف على جملة (ليسأل الصادقين) وغير فيها الأسلوب للدلالة على تحقيق عذاب الكافرين حتى لا يتوهم أنهم يسألون سؤال من يسمع جوابهم أو معذرتهم ولإفادة أن إعداد عذابهم أمر مضى وتقرر في علم ا .

(يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة ا عليكم إذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها وكان ا بما تعملون بصيرا [9]) ابتداء لغرض عظيم من أغراض نزول هذه السورة والذي حف بآيات وعبر من ابتدائه ومن عواقبه تعليما للمؤمنين وتذكيرا ليزيدهم يقينا وتبصيرا . فافتتح الكلام بتوجيه الخطاب إليهم لأنهم أهله وأحقاء به ولأن فيه تخليد كرامتهم ويقينهم وعناية ا بهم ولطفه لهم وتحقيرا لعدوهم ومن يكيد لهم وأمروا أن يذكروا هذه النعمة ولا ينسوها لأن في ذكرها تجديدا للاعتزاز بدينهم والثقة بربهم والتصديق لنبيهم صلى ا عليه وسلم .

من لأن والمنافقين الكافرين طاعة بعدم الأمر مناسبة اليوم بهذا للتذكير واختيرت A E النعم التي حفت بالمؤمنين في يوم الأحزاب أن ا رد كيد الكافرين والمنافقين فذكر المؤمنون بسابق كيد المنافقين في تلك الأزمة ليحذروا مكائدهم وأراجيفهم في قضية التبني

وتزوج النبي صلى الله عليه وسلم مطلقة متبناه ولذلك خص المنافقون بقوله (وإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض) الآيات ؛ على أن قضية إبطال التبني وإباحة تزوج مطلق الأدعياء كان بقرب وقعة الأحزاب .

و (إذ) ظرف للزمن الماضي متعلق ب (نعمة) لما فيها من معنى الإنعام أي اذكروا ما أنعم الله به عليكم زمان جاءتكم جنود فهزمهم الله بجنود لو تروها .

وهذه الآية وما بعدها تشير إلى ما جرى من عظيم صنع الله بالمؤمنين في غزوة الأحزاب فلنأت على خلاصة ما ذكره أهل السير والتفسير ليكون منه بيان لمطاوي هذه الآيات .

وكان سبب هذه الغزوة أن قريشا بعد وقعة أحد تهادنوا مع المسلمين لمدة عام على أن يلتقوا ببدر من العام القابل فلم يقع قتال ببدر لتخلف أبي سفيان عن الميعاد فلم يناوش أحد الفريقين الفريق الآخر إلا ما كان من حادثة غدر المشركين بالمسلمين وهي حادثة بئر معونة حين غدرت قبائل عصية ورعل وذكوان من بني سليم بأربعين من المسلمين إذ سأل عامر بن مالك رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يوجههم إلى أهل نجد يدعونهم إلى الإسلام . وكان ذلك كيدا كاده عامر بن مالك وذلك بعد أربعة أشهر من انقضاء غزوة أحد